١١- غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة

غزوة الأحزاب

قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع، وذهب إليه أيضًا ابن حزم، واستدلوا بما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عرضه يوم أُحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه، ورجح ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أنها كانت سنة خمس، لاحتمال أن يكون ابن عمر كان في أحد في أول الرابعة عشرة، واستكمل في الأحزاب خمس عشرة، وأن أبا سفيان تواعد مع النبي ﷺ يوم أحد على السنة المقبلة فكانت عام جدب فعاد من الطريق، فدل على أن الأحزاب لم تكن بعد أحد بعام واحد.

قال الحافظ: وقد بين البيهقي سبب هذا الاختلاف، وهو أن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة، ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع، وعلى ذلك جرى يعقوب بن سفيان في تاريخه فذكر أن غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الأولى، وأن غزوة أُحد كانت في الثانية وأن الخندق كانت في الرابعة وهذا عمل صحيح على ذلك البناء، لكنه بناء واهٍ مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة، وعلى ذلك تكون بدر في الثانية وأُحد في الثالثة، والخندق في الخامسة، وهو المعتمد[1].

قال ابن القيم رحمه الله: وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أُحد، وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل، خرج أشرافهم كسلام بن أبي الحقيق،وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ويؤلبونهم، ووعدهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٥٤).

قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافتهم سليم بمر الظهران وخرجت بنو أسد وفزارة، وأشجع وبنو مرة وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف[١].

ولما استشار النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام أشاروا عليه بعمل خندق في الجهة الشمالية بين حرة الواقم وحرة الوبرة، ولم تكن العرب تعرف ذلك فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفكرة، وشرع وأصحابه الكرام في حفر الخندق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشاركهم في ذلك، ويخفف عنهم مشقة الحفر، وكانوا في غاية الجهد والجوع والبرد. عن أنس رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعلمون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشَ الآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَةِ

فقال مجيبين له:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا[٢]

وقال ابن بطال في قوله: «اللهم إن العيش عيش الآخرة» هو قول ابن رواحة تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم، ولو لم يكن من لفظه لم يكن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم شاعرًا قال: وإنما يسمى شاعرًا من قصده، وعلم السبب والوتد وجميع معانيه من الزحاف ونحو ذلك[٣].

وجمع على الصحابة رضي الله عنهم مع الأحزاب الذين تمالأوا عليهم واجتمعوا على حربهم، شدة الجوع، وشدة البرد، وشدة الخوف، وظهر النفاق ونزل في ذلك صدر سورة الأحزاب:

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٥٣) «المغازي»، ومسلم (١٢/ ١٧٢) «الجهاد»، والترمذي (١٣/ ٢٤٢) «المناقب».

(٣) «فتح الباري» (٧/ ٤٥٥).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ٩-١٣].

ومن شأن الشدة والبلاء تمحيص المؤمنين، وإظهار المنافقين الذين تذهب بهم الظنون الفاسدة كل مذهب، فهم يظنون أن الله يمكن أن يسلم رسوله وعباده المؤمنين لأعدائهم حتى يهلكوهم، وما علموا أن الله عَزَّ وَجَلَّ يبتلي المؤمن حتى يرتفع الله وحتى يظهر صدق الصادقين فحكى الله عَزَّ وَجَلَّ مقالة المنافقين في هذا الموطن:

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٣-١٤]، وكانت الآيات والمعجزات التي يؤيد بها الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه تظهر في مثل هذه الأحوال.

عن جابر رضي الله عنه قال: «إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لأمرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم بالبرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: «كم هو؟» فذكرت له، فقال: «كثير

طيب». قال: «**قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى**»، فقال: «**قوموا**». فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «**ادخلوا ولا تضاعفوا**»، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شعبوا وبقى بقية، قال: كلى هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة» (١).

قال الحافظ: ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، اشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال:«**بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: بسم الله فقطع بقية بالحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة**» (٢).

وكان النبي ﷺ ينقل بنفسه التراب، روى البراء رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه، يقول:

وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتْ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغُوا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٥٧) «المغازي».

(٢) فتح الباري (٧/ ٤٥٨) والحديث رواه أحمد (٤/ ٢٠٣) من حديث البراء، ورواه الطبراني في الكبير رقم [١٢٠٥٢] وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٣٢): ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد بن حنبل ونعيم العبدي وهما ثقتان.

ويرفع بها صوته أبينا أبينا[١]. وتم حفر الخندق قيل: في خمسة عشر يومًا وقيل: في أربعة وعشرين وقيل في شهر.

قال ابن عبد البر: فلما فرغ رسول الله ﷺ أقبلت قريش في نحو عشرة آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا بظهر سلع في ثلاثة آلاف، وضربوا عسكرهم والخندق بينهم وبين المشركين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم في قول ابن شهاب [٢].

واشتد الخطب على المؤمنين حينما غدرت يهود بني قريظة، ونكثوا عهدهم كعادة اليهود في كل زمان أو مكان، وكان موقعهم يمكنهم من إيقاع ضربة بالمسلمين من الخلف، وصار المسلمون كما وصفهم الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

قال الدكتور أكرم العمري: وقد فوجئت قريش برؤية الخندق، واحتاروا في كيفية اقتحامه، إذ كلما هموا بذلك أمطرهم المسلمون بالسهام، واشتد الحصار، وطال أربعة وعشرين ليلة، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبال.

وقال قتادة: أن الحصار دام شهرًا، وقال موسى بن عقبة: دام عشرين ليلة.

وقد أورد ابن إسحاق وابن سعد روايات دون أسانيد تفيد أن بعض المشركين اقتحموا الخندق، وذكروا أسماء خمسة منهم، وأن عليًا بارز عمرو ابن عبد ود فارس قريش وقتله، وأن الزبير قتل نوفل المخزومي، وأن الثلاثة الآخرين فروا إلى معسكرهم، ولكن هجمات

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٦١) المغازي.
(٢) «الدرر في اختصار المغازي والسير» [١٧١].

المشركين لم تنقطع حتى أن الرسول ﷺ والمسلمين لم يتمكنوا من أداء صلاة العصر في أحد الأيام في وقتها بل صلوها بعد ما غربت الشمس، ولم تكن صلاة الخوف قد شرعت بعد، لأنها إنما شرعت بعد ذلك في غزوة ذات الرقاع[١].

وقد ذكرت كتب السر إسلام نعيم بن مسعود بن عامر، وكيف أنه أسلم وقال له النبي ﷺ إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت.

فسعى في إيقاع الفرقة بين الأحزاب المتجمعة واليهود. ولم يرد ذلك بنص صحيح مسند وأولى من ذلك أن يصار إلى ما نطقت به الآيات وما رواه الثقات، وقد أشارت الآيات إلى أن الله عَزَّ وَجَلَّ أرسل عليهم ﴿رِيحًا وَجُنُودًا﴾ [الأحزاب:٩] أي ملائكة، قال النبي ﷺ: «**نُصِرتُ بِالصَّبَا، وَهُلِكَتْ عَادٌ بِالدَبُورِ**»، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده والمسلمون كانوا في غاية الجوع والخوف والبرد وبذلوا مع ذلك ما يمكنهم، إلا أن البلاء إذا اشتد بالمؤمنين، ولم يكن لهم به حول ولا قوة تتدخل عند ذلك القوة القاهرة، وينصر المؤمنين مولاهم وربهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١] وجرح في هذه الموقعة سيد الأوس، وولى من أولياء الله اهتز لموته عرش الرحمن، وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب..»[٢] وسيأتي – إن شاء الله – كاملًا في غزوة بني قريظة.

وصف حذيفة رضي الله عنه حال المسلمين من الضعف والجوع والبرد والخوف، وكيف أرسل الله عَزَّ وَجَلَّ على جنود الكافرين من الريح الشديدة والرعب والفزع ما أجلاهم وأبعدهم عن مدينة رسول الله ﷺ إلى غير رجعة.

---

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة «الجهاد ضد المشركين» (١٢٠، ١٢١).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٧٥) المغازي، ومسلم (١٢/ ٩٤) «الجهاد».

روى مسلم عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت. فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة**»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة**»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد. ثم قال: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة**» فسكتنا فلم يجبه منا أحد. فقال: «**قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم**» فلم أجد بدًا إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال: «**اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي**»، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ، ولا تذعرهم علي، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته أخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت قال: «**قم يا نومان**»[(١)].

وصفوة الكلام أن يقال في سبب هزيمة الأحزاب أن الله عَزَّ وَجَلَّ استجاب لدعاء رسوله ﷺ وهو ما رواه البخاري عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٢/ ١٤٥، ١٤٦) «الجهاد والسير».

قال النووي: قوله: «**وأخذتنا ريح وقر**» وهو البرد وقوله بعد هذا: «**قررت**» أي بردت.

قوله: «**لا تذعرهم**» لا تفزعهم علي ولا تحركهم على قوله: «فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام» يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا، بل عافاه الله منه ببركة إجابة النبي ﷺ وذهابه فيما وجهه له، ودعائه ﷺ له، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس، وهذه من معجزات رسول الله ﷺ باختصار من «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ١٤٥، ١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٦٩) «المغازي»، ومسلم (١٢/ ٤٧) «الجهاد»، وأبو داود [٢٦١٤] «الجهاد».

وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩].

قال مجاهد: سلط الله عليهم الريح فكفأت قدورهم، ونزعت خيامهم حتى أظعنتهم. وقال ﷺ: «**نُصِرتُ بِالصَّبَا**» (١)، وهي الريح الشرقية، ولذا كان النبي ﷺ ينسب الفضل كله في هزيمة الأحزاب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وحده فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده**» (٢) وكانت هذه الغزوة نهاية غزو الكفار للمدينة، عن سليمان بن صرد قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا، ونحن نسير إليهم**» (٣).

قال الحافظ: قوله في رواية إسرائيل «حين أجلي» بضم الهمزة وسكون الجيم وكسر اللام أي رجعوا عنه، وفيه إشارة إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله تعالى لرسوله، قال وفيه علم من أعلام النبوة، فإنه ﷺ اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها، فكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال ﷺ: «وأخرج البزار بإسناد حسن من حديث جابر شاهدًا لهذا الحديث ولفظه:«أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب، وقد جمعوا له جموعًا كثيرة، لا يغزونكم بعد هذا أبدًا، ولكن أنتم تغزونهم» (٤).

الفوائد والآثار الإيمانية:

١- مع أن هذه الغزوة لم يكن فيها التحام بين الجيشين، إلا إنها كانت للظروف التي لابستها وكثرة المشركين، وغدر بني قريظة، والريح والبرد القارص في هذا الوقت

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٦١) «المغازي»، ومسلم (٦/ ١٩٦) «الاستسقاء».
(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٦٩) المغازي.
(٣) «فتح الباري» (٧/ ٤٦٨).
(٤) «فتح الباري» (٧/ ٤٦٨).

وحصول المجاعة في المدينة جعلتها من أشد الغزوات امتحانًا لقلوب المؤمنين، وأي وصف أبلغ من قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠]، ونجم النفاق وظهرت أمراض القلوب فروى أن بعضهم كان يقول: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وكان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يستأذنون في العودة إلى بيوتهم ويتعللون بأن بيوتهم عورة، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب:١٣]، وكما أن الشدائد تُظهر نفاق المنافقين، فهي كذلك تُظهر إيمان المؤمنين، فقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

٢- كان تأييد الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه ﷺ وللمؤمنين في هذه الغزوة للظروف السالفة أعظم تأييد وأتمه، تاره بالمعجزات والخوارق الرحمانية، كما حدث في بيت جابر ابن عبدالله، وكما حدث مع حذيفة رضي الله عنه حيث أذهب الله عنه البرد فكان كأنه في حمام من الدفء، وما رأى النبي ﷺ في حفر الخندق وبشر الصحابة به من الفتوحات العظيمة، وكانت الملائكة تنزل على رسول الله ﷺ تقاتل معه، كما حدث في بدر وكما أنزل الله عليه ﷺ من يدافع عنه، وقد انكشف المسلمون يوم أُحد إلا أن في هذه الغزوة أيده الله عَزَّ وَجَلَّ بالملائكة التي تزلزل قلوب الكفار وتُلقي فيها الرعب، وبالريح التي تقوض خيامهم، وتطفئ نارهم، ولا تدع لهم قدرًا إلا كفأتها، فالمسلمون إذا بذلوا جهدهم وطاقتهم في إعزاز الدين ورفع راية رب العالمين، وإن كان الجهد قليلًا بالنسبة للأسباب التي يتمتع بها أعداؤهم، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يؤيد عباده بجندٍ من عنده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، لا أقول بنزول الملائكة تقاتل مع النبي ﷺ، ولكن ليست الملائكة وحدها جنود الله بل يهيئ الله عَزَّ وَجَلَّ من الأسباب والظروف التي ينصر بها عباده المؤمنين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾

[الصَّافَّات:١٧٣] و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غَافِر:٥١].

فالنصر ليس قاصرًا على الرسل الكرام بل هو لعموم المؤمنين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم:٤٧] ويظهر ذلك لمن كانت له دراية بالفتوحات الإسلامية العظيمة التي كانت بعد وفاة النبي ﷺ، فنسأل الله تعالى أن يعزنا بهذا الدين، وأن يعز بنا هذا الدين.

٣- في هذه الغزوة وكذلك غزوة بدر ظهر فضل التضرع إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وكيف أن الأسباب إذا كانت قليلة فيعوضها ويفضل عنها التوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ القوي المتين رب الأرباب، ومالك الأسباب.

وكما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء:٦٢] لما قيل له ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء:٦١]، وقال النبي ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوبَة:٤٠] لما قال له بكر: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا. و قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزُّمَر:٣٦]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ﴾ [الطَّلَاق:٣].

٤- في هذه الغزوة كذلك تعليم للقادة أن لا يتميزوا عن جنودهم، فهذا رسول الله ﷺ لو قعد عن حفر الخندق واكتفى بالإشراف والتوجيه لما لامه أحد، ولكنه ﷺ كان يشاركهم في جوعهم، ويربط على بطنه الحجر وكان يحمل التراب بنفسه ﷺ بأبي هو وأمي، وهو أشرف نفس بشرية وطأت قدماها الأرض، ولا شك أن في مشاركة النبي ﷺ لهم في حفر الخندق ودعائه لهم وما كان ينشده من شعر ابن رواحة كان يخفف عنهم مشقة الحفر وينسيهم ما يجدونه من جوع وخوف، وأولى الناس بكل خير رسول الله ﷺ، فهو القدوة للقائد، وللعالم، وللعابد،

وللمعلم ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

٥- هذه الغزوة يظهر فيها بجلاء غدر اليهود وخيانتهم، وكيف أنهم كانوا السبب في تجميع الأحزاب حول المدينة، ثم في خيانة يهود بني قريظة في أشد الأوقات وأعظمها محنة، فبدلًا من أن يكونوا عونًا للمسلمين بحسب العهد الذي بينهم كانوا حربًا عليهم مع بقية قوى الكفر، فهذه طبيعة اليهود مع أن ما حدث مع بني قينقاع وبني النضير ليس منهم ببعيد، ولكن هذه طبيعتهم التي لا ينفكون عنها، ولا يستطيعون التخلص منها، ولذا وصفهم الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة:١٠٠]، وهم أتباع المسيح الدجال، فإذا قتل المسيح الدجال انهزم جنوده من اليهود، فما يختبئ يهودي وراء حجرٍ أو شجرٍ إلا نطق وقال: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود. فهذا من باب: اعرف عدوك (١).

٦- **قال الغزالي:** طبائع الناس تتفاوت تفاوتًا كبيرًا لدى الأزمات العضوض: منها الهش الذي سُرعان ما يذوب ويحمله التيار معه كما تحمل المياه الغثاء والأوحال، ومنها الصلب الذي تمر به العواصف المجتاحة، فتنكسر حدتها على متنه وتتحول رغوة خفيفة وزبدًا.

أَجل من الناس من يهجم على الشدائد ليأخذها قبل أن تأخذه، وعلى لسانه قول الشاعر:

تَـأَخَـرتُ أَسْتَبقى الحَّيَـاةَ فَلَـمْ أَجدْ   لِنَفسِى حَيـاةً مَـثـلَ أَنْ أتقَـدمَا

---

(١) قال الغزالي: ومسلك بني إسرائيل بإزاء المعاهدات التي أمضوها قديمًا وحديثًا يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خستهم أبدًا، وأنهم يرعون المواثيق ما بقيت هذه المواثيق متمشية مع أطماعهم ومكاسبهم وشهواتهم فإذا وقفت تطلعهم الحرام نبذوها نبذ النواة ولو تركت الحمير نهيقها والأفاعي لدغها، ترك اليهود نقضهم للعهود، وقد نبه القرآن إلى هذه الخصلة الشنعاء في بني إسرائيل وأشار إلى أنها أحالتهم حيوانًا لا أناسي فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٥٥-٥٦]، «فقه السيرة» (٣٢٤، ٣٢٥).

ومنهم من إذا مسه الفزع طاش لبه فولى الأدبار وكلما هاجه طلب الحياة وحب البقاء، أوغل في الفرار وقد نعى القرآن الكريم على هذا الصنف الجزوع موقفه في معركة الأحزاب فقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٦، ١٧].

غزوة بني قريظة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح. والله ما وضعناه، فأخرج إليهم قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا وأشار إلى قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة» (٢).

ولا شك أن سبب هذه الغزوة هو ما تقدم في قصة الخندق من نقض عهدهم مع رسول الله ﷺ ومعاونتهم الأحزاب على حربه، قال الحافظ: كانت لسبع بقين من ذي القعدة، وأنه خرج إليهم في ثلاثة آلاف، وذكر ابن سعد أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثين فرسًا (٣)، وتعجل النبي ﷺ الصحابة للخروج إليهم قبل أن يتحصنوا بالحصون ويأخذوا العدة لذلك، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق. فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم. وقال بعضهم: بلى نصلي لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك النبي ﷺ فلم يُعنف واحدًا منهم(٤).

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٧٠) المغازي.
(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٧٠) المغازي.
(٣) «فتح الباري» (٧/ ٤٧١).
(٤) رواه البخاري (٧/ ٤٧١) المغازي.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها في قصة جرح سعد بن معاذ وغزوة الخندق قالت: رضي الله عنها : خرجت يوم الخندق أقفوا آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض من ورائي يعني حس الأرض قالت: فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجنة. قالت: فجلست إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول:

لَبِثَ قَلِيلًا يُدرِكُ الهَيْجَا حَملٌ   مَا أَحسَنُ المَوتِ إِذَا حَانَ الأَجلُ

قالت: فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة [1] له يعني المغفر، فقال عمر: ما جاء بك لعمري إنك لجريئة، وما يؤمنك أن لا يكون تجوز. قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذٍ فدخلت فيها، قال: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيدالله. فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التجوز والفرار إلا إلى الله تعالى قالت: ويرمي سعدًا رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له فقال له: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله فقطعه، فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تمتني حتى تُقر عيني من بني قريظة فيخرجوا من صياصيهم [2]، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد في المسجد قالت: فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على بني غنم، وهم جيران المسجد فقال: مَنْ مر بكم؟ فقالوا: مَرَّ بنا دحية الكلبي وكان دحية تشبه لحيته ووجهه جبريل عليه السلام. قالت: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح.

(١) التسبغة: شيء من حلق الدروع والزرد يعلق بالخوذة دائرًا معها ليستر الرقبة وجيب الدرع.
(٢) أي حصونهم، وكل شيء امتنع به وتحصن فهو صيصة..

فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد ابن معاذ فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه، وقالوا له: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت، فلم يرجع إليهم شيئًا ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أتى لي أن لا يأخذني في الله لومة لائم. قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ : «**قوموا إلى سيدكم فأنزلوه**». قال عمر: سيدنا الله. قال: «**أنزلوه**» فأنزلوه. قال رسول الله ﷺ : «**احكم فيهم**» قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ : «**لقد حكمت فيهم بحكم الله عَزَّ وَجَلَّ وحكم رسوله**». قال:ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك كم حرب قريش شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك. قالت: فانفجر كلمة وكان قد برأ إلا مثل الخرص[1]. قالت: ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ ، قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]. قال علقمة: فقلت: أي أمة فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته[2] وفي بني قريظة نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٦-٢٧].

قال القاسمي: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب الرسول ﷺ ، ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني بني قريظة، كان نزل آباؤهم

(١) الحلقة الصغيرة من الحلمة.

(٢) قال الهيثمي: في «الصحيح» بعضه رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات «مجمع الزوائد» (٦/ ١٣٧، ١٣٨).

الحجاز لما فروا من الاضطهاد وتشتتوا كل شتات أطراف البلاد،﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي حصونهم وآطامهم التي كانوا فيها، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي الخوف جزاء وفاقًا[١].

قال ابن كثير: ثم لما استنزلوا من حصونهم، حبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك يخرج بهم إليه أرسالًا، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة، وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم[٢].

الفوائد والآثار الإيمانية:

١- قال ابن كثير: لأنهم كانوا مالأوا المشركين على حرب النبي ﷺ وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين ورامو قتلهم ليعزوا في الدنيا فانعكس عليهم الحال وانقلب إليهم القتال، لما انشمر المشركون وراحوا بصفقة المغبون، فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، ولهذا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني قتل الرجال المقاتلة، وسبى الذراري والنساء.

روى الإمام أحمد عن عطية القرظي قال: عرضت على النبي ﷺ يوم قريظة فأمر بي النبي ﷺ أن ينظروا هل أنبت بعد؟ فنظروني فلم يجدوني أنبت، فخلى عني، وألحقني بالسبي. وكذا رواه أهل السنن كلهم، وقال الترمذي: حسن صحيح[٣].

---

(١) «محاسن التأويل» (١٣/ ٢٤٤).

(٢) نقلًا عن «محاسن التأويل» (١٣/ ٢٤٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٧٨).

٢- وقال القاسمي: وبتمام تلك الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة، ولم يبق إلا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلها، وهم الذين كانوا السبب في إثارة الأحزاب[١].

٣- **قال بعض العلماء**: يا الله! ما أسوأ عاقبة الطيش! فقد تكون الأمة مرتاحة البال هادئة الخواطر، حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم، وهذا ما حصل لليهود في الحجاز فقد كان بينهم وبين المسلمين عهودًا يأمن بها كل منهم الآخر، ولكن اليهود لم يوفوا بتلك العهود حسدًا منهم وبغيًا، فتم عليهم ما تم، فإن الله لا يصلح أعمالهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: وقد شاهدتم بعض مقدوراته، فاعتبروا بغيرها.

٤- ليس في قول النبي ﷺ: «**لا يُصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة**»[٢]. وعدم تعنيف النبي ﷺ لمن صلى في الطريق، ولمن لم يُصل حتى فات وقت العصر عملًا بظاهر الأمر، دليل على أن الحق يتعدد، وأن كل مجتهد مصيب في اجتهاده، ولكن فيه معذرة مَنْ بذل جهده، وإن كان اجتهاده خطأ فالحق الواحد لا يتعدد، ومثل ذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]

ويشهد له أيضًا قوله ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجر وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**»[٣]. فالمجتهد مأجور على كل حال، إما أجرًا كاملًا أو أوجرًا ناقصًا، وهو معذور في خطأه مرفوع عنه الإثم لأنه لم يقصد مخالفة الحق، وهو بذل جهده ووسعه في الوصول إليه. وقد شاع استدلال البعض بهذه القصة في تصويب جميع الاجتهادات

---

(١) «محاسن التأويل» (١٣/ ٢٤٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٣/ ٣٣٠) الاعتصام، ومسلم (١٢/ ١٣) الأقضية، وأبو داود [٣٥٥٧] الأقضية.

وجميع الأقوال المنسوبة إلى العلماء، وبذلك يسوغون لأنفسهم التقليد للأئمة، وعدم معرفة المسائل المختلف فيها بأدلتها الشرعية، حتى صار الأصل هو التقليد، وانقطع السند بينهم وبين رسول الله ﷺ.

قال الحافظ: ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، فيستفاد منه عدم تأثيمه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحًا للنهي الثاني على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها. واستدلوا بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب بنظير ما وقع في تلك الأيام بالخندق، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأن كناية على الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة، وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد، لأنه ﷺ لم يعنف أحدًا من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم[1].

٥ - ورد في مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه أحاديث صحيحة صريحة في علو درجته وارتفاع منزلته، كيف لا وهو سيد الأنصار، وأثبت له ذلك ﷺ عندما قال: «**قوموا إلى سيدكم**»[2].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اهتز العرش لموت سعد بن معاذ**»[3]. وعن البراء قال: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال: «**أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين**»[4].

---

(١) باختصار من «الفتح» (٧/ ٤٧٣).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٧٥) المغازي.

(٣) رواه البخاري (٧/ ١٥٤) «مناقب الأنصار»، والترمذي (١٣/ ٢٣٥) «المناقب»، واهتزازه فرحًا واستبشارًا وسرورًا بقدوم روحه، وابن ماجه [١٥٨] المقدمة.

(٤) رواه البخاري (٧/ ١٥٣، ١٥٤) «مناقب الأنصار»، والترمذي، (١٣/ ٢٣٤، ٢٣٥) «المناقب».

وعن أنس قال: «لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته»، فقال النبي ﷺ: «**إن الملائكة كانت تحمله**»[١].

(١) رواه الترمذي (١٣/ ٢٣٦) «المناقب»، وابن ماجه [١٥٧] المقدمة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني رقم [٣٠٢٤] من «صحيح الترمذي»، ورقم [٦٢٢٨] «المشكاة».